

عبد الرحيم الشيخ *

المقولة الثقافية تنتصر على السياسة والتقسيم

على الرغم من التشطي السياسي الفلسطيني، وربما بسببه، فإن الربع الأخير من سنة ٢٠١٠ شهد نشاطاً ثقافياً لافتاً في أنحاء فلسطين التاريخية التي ما عاد ثمة رابط أقدر على جمعها في مشهدية واحدة أكثر من رابط الثقافة. فهذا الرابط جعل الهيئات التمثيلية المتعددة للتجمعات والاتجاهات الثقافية، والتي تنشط على الصعيد المحلي والعربية والعالمية، أقدر على مواجهة تحديات الواقع الفلسطيني من الهيئات التمثيلية السياسية للفلسطينيين. ولذا، فإن المقولة الثقافية الفلسطينية سبقت المقولة السياسية الرسمية، واستعادت القدرة الفلسطينية على توجيه الخطاب والموقف العالميين من القضية الفلسطينية وإسرائيل العنصرية، ونجحت في مواصلة تثبيت فكرة العمل على إنهاء الاستعمار لا الاحتلال فقط، وعلى تكريس الثوابت الوطنية وتجاوز الخطايا والأخطاء (١٩٤٨ - ٢٠١٠)، واستطاعت أن تقدم مقترحات جديّة، وعملية في معظمها، كي يتضافر الخطاب الرسمي مع الخطاب الجماهيري.

وبينما يأتي هذا "التقرير الثقافي" بطائفة من "الأعمال" الثقافية الناجزة واللافتة باقتدار، من غزة والضفة الغربية وأراضي فلسطين المحتلة في سنة ١٩٤٨، فإن البيات الشتوي العام لا يزال يكتنف "الخطط القطاعية" وغير القطاعية لمؤسسة الثقافة الرسمية التي ما زالت عاجزة عن احتضان النشاط الثقافي العام وتبني منجزات خطابه المقاوم.

ولا يرصد هذا التقرير الفاعلية الثقافية الفلسطينية على نحو مسحي، وإنما يتناول نماذج من الفعل الثقافي في الربع الأخير من سنة ٢٠١٠، والذي امتاز بظهور هيئات تمثيلية جديدة للمثقفين الفلسطينيين قادرة على التجانس مع الهيئات القائمة بالحد الأعلى من "الثوابت الثقافية الفلسطينية"، وخصوصاً في أراضي فلسطين المحتلة في سنة ١٩٤٨، وكذلك ببزوغ مبادرات شبابية وأصوات جديدة مبشرة في المشهد الثقافي الفلسطيني كما هي الحال في الضفة الغربية وغزة، وبتضافر الجهد الثقافي العام مع حملة المقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل في تعرية ثقافة الحصرية والعنصرية الإسرائيلية، وفي تحقيق منجزات هائلة في عزلها فكرياً ومؤسسة.

ولعل من الحري الإشارة إلى أن مشاركة ثلاثة من الأدباء الشباب في الرصد الميداني للفاعليات الثقافية في غزة والضفة الغربية وأراضي فلسطين المحتلة في سنة ١٩٤٨، هم محمود ماضي وأنس أبو رحمة وعلي مواسي، ومساهمة كل من اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين والحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل بتقارير موجزة عن إنجازاتها... ساهمت كلها في جعل هذا التقرير قادراً على أكثر من الإيماء إلى انتصارات ثقافية

(* رئيس دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية في جامعة بيرزيت.

تستحق التوقف لتأمل تجربة الصمود في ظل التراجع السياسي وتلثم الرسمية الفلسطينية محلياً وعربياً وعالمياً. وقد تم الاكتفاء، هنا، بنماذج تمثيلية فقط للنشاط الثقافي المتواصل، وخصوصاً فيما يتعلق بالفاعليات الوطنية التي أشرفت عليها أحزاب سياسية وأطر تنظيمية، وبالنشاط الفكري ذي الطابع الأكاديمي البحث، وبالفاعليات التربوية والاجتماعية ذات الطابع الثقافي، والتي قام عليها، وبدأ منقطع النظر، كثير من مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني، وبالعدد الهائل من المنشورات والملاحق الثقافية التي تحتاج وحدها إلى تقرير خاص.

الحراك النقابي والثقافي للهيئات الثقافية التمثيلية

قام الاتحاد العام للكتّاب والأدباء الفلسطينيين بتثبيت عضويته في الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب، وبتسيّد جميع الديون المترتبة عليه منذ أعوام، كما وقّع وثيقة تعاون مع اتحاد كتّاب المغرب بغية استعادة المبادرة الثقافية للاتحاد في المشهد الثقافي العربي، فضلاً عن مشاركته في اجتماع الاتحاد العام للكتّاب والأدباء والكتّاب العرب في ليبيا في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٠. وعلى هامش مشاركته في معرض الكتاب الدولي في بيروت، قام وفد الاتحاد برئاسة أمينه العام الشاعر مراد السوداني بزيارة التجمعات والمراكز الثقافية الفلسطينية في مخيمات اللجوء، والالتقاء برئيس اتحاد كتّاب لبنان سليمان تقي الدين، وبحث سبل التعاون. ويأتي ذلك في أعقاب جولة مماثلة تمت فيها زيارة اتحاد كتّاب المغرب، وتوقيع اتفاقية تعاون (شارك فيها بيت الشعر الفلسطيني وبيت الشعر المغربي)، وتسليم اتحاد المغرب درع الاتحاد. ومن جهة أخرى، تواصل الاتحاد مع المبدعين في فلسطين المحتلة في سنة ١٩٤٨ من أجل تأسيس اتحاد كتّاب العرب الفلسطينيين الذي انطلق في حيفا في أواسط كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠ للحفاظ على المقولة الثقافية الفلسطينية، وحمايتها من فرص الاقتناص والاحتواء والأسرلة المتكررة من جانب المؤسسة الإسرائيلية. وجاء في البيان الأول لهذا الاتحاد ما يلي: "نظراً للحالة الثقافية والاجتماعية والسياسية الاستثنائية التي نعيشها كمجتمع عربي فلسطيني نحيا في ظل مؤسسة تعادي ثقافتنا وانتماءنا الوطني والقومي من ناحية، وفي ظل ثقافة عربية سائدة، لم تعدد بشكل عام أن تتعامل معنا كجزء طبيعي من الثقافة العربية العامة، فإننا أكثر من نحتاج إلى إطار ثقافي أدبي جامع وشامل. من هنا فقد تأسس اتحاد كتّاب العرب الفلسطينيين - حيفا، كمتّمة لاتحادات وروابط أدبية سابقة، مستفيداً من تجاربها سلباً وإيجاباً، مؤسساً إطاره الجديد، على أرض صلبة بناها الرعيل الأول والثاني من أدبائنا الذين استطاعوا أن يرفعوا الأدب الفلسطيني إلى مصاف مواز للأدب والفكر العربي الرفيع، ومستفيداً من تراكم التجارب الفكرية والخطاب الفكري - السياسي لأحزابنا وحركاتنا السياسية، والذي تبلور وتطور، جزاء ظروف وتحديات كبيرة تواجه أبناء شعبنا وأمتنا يومياً، وبشكل متصاعد في سلم التحديات والقلق." وجاء تأسيس هذا الاتحاد بعد اجتماع حاشد للكتّاب والأدباء الفلسطينيين في قاعة اللاز في عكا في ١٩/١٢/٢٠١٠، وافتتح الاجتماع برسائل دعم وتأييد من الأساتذة الكبار: سميح القاسم، وحنّا أبو حنّا، ومحمد علي طه، الذين ترأسوا الاتحادات والروابط الأدبية سابقاً، ورسالة من الشاعر مراد السوداني الأمين العام لاتحاد كتّاب والأدباء الفلسطينيين.

وجاء في بيان الاتحاد أنه يقوم على المبادئ والأسس والشروط التالية: "الحرية والديمقراطية والعدل والمساواة: التنوع الفكري والعقائدي والحزبي، وهي أمور شخصية لا علاقة للاتحاد بها، سوى ما يتعارض ويتنافى مع المبادئ الجوهرية للاتحاد؛ لا ينتمي الاتحاد لأي حزب من الأحزاب، وأي انتماء حزبي لأي عضو من أعضائه يبقى حرية شخصية لا علاقة للاتحاد به؛ يعتبر الاتحاد نفسه اتحاد كتّاب وأدباء عرب فلسطينيين، وهو تنظيم آخر يضاف إلى اتحادات وروابط كتّاب في فلسطين والعالم العربي؛ يرى الاتحاد نفسه بتوجهه الثقافي العام جزءاً لا يتجزأ من المشهد الثقافي الفلسطيني والعربي، وبالتالي العالمي، ولا يحصر قضاياه داخل حدود

جغرافيته الضيقة، لكنه يعتبر أن لفلسطينيي الـ ٤٨ واقعاً استثنائياً وخصوصية مميزة ينبغي أخذها بعين الاعتبار؛ يسعى الاتحاد لتعزيز علاقته مع جميع المؤسسات والتنظيمات والحركات الأدبية والثقافية الفلسطينية في الداخل وفي المناطق المحتلة عام ٦٧ والشتات، والعالم العربي والعالم أجمع.

ومن جهة أخرى، فقد انتهى الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين من إنجاز مسودة التأمين الصحي للكتاب ومنح التفرغ لإقرارها؛ كما تمّ تأليف لجنة العضوية لإعادة النظر في عضوية أعضاء الاتحاد وفتح باب التنسيب. ويتواصل الاتحاد العام مع الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين في دمشق لإنجاز توحيد الاتحاد العام للكتاب والأدباء في الداخل والخارج وفصل الكتاب عن الصحافيين.

وعلى صعيد الأنشطة، قام الاتحاد العام بزيارة لبيت الشاعر الكبير المرحوم يوسف حسون (حادي فلسطين) وحصل على قصائد وتسجيلات الشاعر، والعمل جارٍ لإصدار ديوان الحسون عن الاتحاد العام. وفي السياق ذاته، أنجز الاتحاد العام، وبالتعاون مع صوت فلسطين، حلقتين عن تجربة يوسف حسون، وجرت استضافة نجل الشاعر بهاء حسون ورفيقي الراحل الشاعر أبو عرب ويونس أبو جابر للحديث عن تجربة الحسون، وأذيعت أغاني الحسون في صوت فلسطين لأول مرة بعد انقطاع طويل. وقام الاتحاد بزيارة الشاعر أبو عرب وسلّمه تفرغ ما يزيد على سبعين شريطاً من أغاني الشاعر لإصدارها في ديوان، كما تمت زيارة الشاعر الكبير أحمد دحبور والحصول على إصداراته الأخيرة، إذ يجري العمل على إصدار الأعمال الناجزة له. وفي سياق النشر، انتهى الاتحاد من طبع الأعمال الناجزة للشاعر يوسف الخطيب، والتي ستصدر في ثلاثة مجلدات، وجرى الاتفاق مع الموسيقي حسين نازك لجمع أغاني الثورة الفلسطينية والفولكلور الفلسطيني، ولإعادة توزيع أغاني الفدائيين للشاعر الراحل صلاح الدين الحسيني "أبو الصادق"، وكذلك مغناة (زريف الطول). وبالتعاون مع دار الشروق قام الاتحاد بإحياء الذكرى الثانية لرحيل الإعلامي والكاتب عايد عمرو.

وقد أصدر الاتحاد موسوعة الرواد المقدسيين في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين في عشرين جزءاً، كما أصدر الديوان الأخير للشاعر علي الخليلي "شرفات الكلام"، وأنجز المسودة النهائية لأعمال الكاتب ناجي علوش لإصدارها قريباً. وبالتعاون مع بيت الشعر الفلسطيني، صدر ما يزيد على خمسة عشر إصداراً شعرياً منها، والأعمال الكاملة للشاعر محمد حسيب القاضي في مجلدين، وتم تجميع المجلدات: الثاني والثالث والرابع من موسوعة فرسان الزجل الشعبي، والتي يشرف على جمعها الشاعر الشعبي والباحث نجيب صبري، إذ إن بيت الشعر أصدر المجلد الأول، وهو أول عمل في جمع أعلام الزجل الشعبي الفلسطيني في الوطن والشتات. كما جرى إنجاز الأعمال الكاملة للشاعر محمد لافي، والتي ستصدر قريباً، ويجري العمل على إعادة إطلاق مجلتي "الشعراء" و"أقواس" بعد توقفهما منذ خمسة أعوام.

الضفة الغربية: مبادرات جديدة وأصوات جادة

تميز الإبداع الثقافي في الضفة الغربية من فلسطين المحتلة بالعديد من الإرهاصات التي يقوم بها شبان آمنوا بالحلم والتجريب كطريقتين للوصول إلى براري الجمال، وفراديس الجُمَل. وبعد أن كانت مؤسسات الوطن في غياب وغربة عن إبداع واقع ثقافي متميز تملؤه الأغاني والأنشطة القادرة على الوقوف بقوة في وجه واقع استعماري يعمل ليل نهار على تفتيت الحلم، وسرقة المنجز الثقافي للناس، فإن العديد من الكتاب الشبان - بعد كفران الجيل الشاب برتابة المؤسسات وبيروقراطيتها، وجبنها في التعامل مع الفعل الإبداعي - وجد مبادرات من هنا وهناك تخرج لا كي تعلن الوصاية على المشهد، أو لتعلن الوجود، وإنما لتعبر عمّا يدور في رؤوس الشبان من أفكار ورؤى ومشاريع كمحاولات "برية" للرقى بالحال الثقافية للبلد، ونشر الجمال والأمل في أرجاء المكان، والدق على

”جدران الخزان“ لعل صحوة المؤسسات الثقافية تكون قريبة بعد غياب طال. ومن هذه المبادرات ”بسطة كتابة“، التي خرجت لنشر المنجز الإبداعي للجيل الشاب في الصحافة الفلسطينية كسراً للاحتكار الذي تتميز به بعض المنابر الثقافية في الوطن، ومنها أيضاً ”معرض فلسطين في عيون الفنانين الشباب“ كحالة فنية تسعى للتعريف بالوطن وفهمه في ظل المنفى وحاجز الجندي، وكذلك مبادرة ”فنان قهوة“ كمنشأ يستدرج الأسماء الثقافية الفلسطينية إلى حقول الجيل الجديد للحوار وتناقل المعرفة والخبرات من خلال لقاءات أدبية فنية، فضلاً عن ظاهرة ”لوز أخضر“ كلقاء شهري يسعى للتأسيس لواقع نقدي جديد من خلال عرض المنجز الإبداعي الشبابي ثم تحليله نقدياً من جانب أسماء لها مكانتها في الواقع الثقافي الفلسطيني، لا على سبيل الوصاية وفرض النهج، وإنما للحوار والتعلم وتبادل وجهات النظر. إنها تظاهرات كثيفة، واعية لما تفعل، وجميلة في غناها. وهنا عرض لبعض المبدعين ثقافياً ولجزء من إبداعاتهم، وما غاب عن الأجندة إنما لعدم العلم، أو لضيق المساحة، وليس نقياً أو تغييرياً لأحد.

من أمثلة هذه المبادرات، ”معرض فلسطين في عيون الفنانين الشباب“، وهو معرض متنقل زار ويزور منذ انطلاقه في شباط/فبراير ٢٠١٠ العديد من المدن الفلسطينية، وهو يجمع أعمالاً لـ ٢٩ فناناً من جميع أنحاء الوجود الفلسطيني: الضفة الغربية؛ غزة؛ فلسطين المحتلة ٤٨؛ مخيمات الشتات في لبنان وسورية. وتُجسد أعمال المعرض فكرة فلسطين ”الوطن والمنفى والحلم“، كل فنان بحسب رؤيته، ومكان وجوده، وما يحمل من هواجس ولغة. ولهذا كان الاختلاف جلياً في مفهوم الوطن بين من يقطن في رام الله، ومن لم ير أين ولد. والمعرض ينظمه المجلس الثقافي البريطاني، ومؤسسة جيل للنشر/فلسطين الشباب. وقد وصل المعرض هذا الشهر إلى حيفا. أما ”بسطة كتابة“، فهي زاوية أسبوعية تفردت بها جريدة ”الأيام“ الفلسطينية، بمبادرة من الشاعر معن سمارة، وبإشرافه، إذ يقوم كل أسبوع بنقل تجارب كتابية - من إبداع الجيل الشاب - من فضاء المدينة إلى صفحات الجريدة، معرّفاً بهذه التجارب، وعارضاً للإنتاج الأدبي لها. ووصلت ”البسطة“ منذ انطلاقها في بداية سنة ٢٠١٠ إلى ما يقارب ٣٣ حلقة قُدمت فيها عشرات التجارب الإبداعية الشابة. أما ”نوافذ الثقافة“، فصدرت في مطلع تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٠، وهي فصلية ثقافية شاملة تتضمن نصوصاً في مختلف أوجه الكتابة الإبداعية، والفنون المتنوعة، وتشرف عليها الجمعية الفلسطينية للثقافة والفنون (نوافذ)، ويرأس تحريرها الشاعر الشاب معن سمارة. والجمعية الفلسطينية للثقافة والفنون (نوافذ) هي جمعية ثقافية أسسها مجموعة من الكتاب والمثقفين الفلسطينيين الشباب، وتعنى بالأدب الشباب وبتكريس مفاهيم الثقافة الواعية المنفتحة على حضارة شعبنا وتاريخه وأصالته وتعزيز ثباته بأساليب إبداعية خلّاقة.

وعلى صعيد آخر، انطلق مهرجان شاشات السادس لسينما المرأة في ١٨/١٠/٢٠١٠، والذي تنظمه مؤسسة شاشات لهذه السنة بالتعاون مع جامعة النجاح الوطنية. ويعرض المهرجان أعمالاً قصيرة من إبداع مخرجات فلسطينيات شابات، وتتناول الأفلام الحياة اليومية التي تعيشها الفتاة الفلسطينية في فصل الصيف. ومن الأفلام المعروضة فيلم ”الأجرة بشيكل“ لأميرة الرجوب، والذي تدور أحداثه على الصراع بين الحاضر والماضي في استخدام وسائل النقل. وفيلم ”نعليني يا صبر“ لسلام كنعان الذي يعرض لموسم قطف ”الصبر“ في القرية الفلسطينية بعين شابة تريد أن تضع فيلماً كمشروع للتخرج من الجامعة حيث تدرس.

وفي سياق ذي علاقة، انطلق في ٧/١٠/٢٠١٠ في مدينة رام الله مهرجان القصبية الخامس للأفلام السينمائية، وهو المهرجان الذي دأب مسرح القصبية على تنظيمه منذ خمسة أعوام، وقد اشترك مهرجان برلين الدولي للأفلام في تنظيم المهرجان لهذه السنة. وعرض المهرجان مجموعة من الأفلام الروائية والوثائقية القصيرة، الآتية من جميع أنحاء العالم، كما عرض عدداً من الأفلام الحاصلة على جوائز سينمائية عالمية. وابتدأ المهرجان بالفيلم الفرنسي ”ميرال“ لجوليان شنابل، والذي كتبه الكاتبة والصحافية والمذيعة الإيطالية/

الفلسطينية رولا جبريل، المقيمة في إيطاليا، عن رواية لها بالعنوان نفسه نُشرت باللغة الإيطالية. كما عُرض في مهرجان فيلم "الزندق" للمخرج الفلسطيني ميشيل خليفي.

أمّا معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى فنظم مهرجان ليالي الطرب في القدس بنسخته الثانية، واستمر المهرجان من ٢٨/١٠/٢٠١٠ إلى ١٣/١١/٢٠١٠. وافتتحت فرقة القدس للموسيقى العربية التابعة للمعهد الوطني المهرجان من قلب القدس، حيث عرضت مشاركات لموسيقيين فلسطينيين، بتجارب فردية وجماعية. وشارك في المهرجان عازف العود التركي محمد بيتمز، كما تنقلت العروض بين عدد من المدن الفلسطينية.

علاوة على ذلك، أعلنت مؤسسة عبد المحسن القطان، في ٢٣/١٠/٢٠١٠ أسماء الفائزين بجوائز برنامج الثقافة والفنون، والذي شرعت المؤسسة منذ سنة ١٩٩٩ في جعله نشاطاً سنوياً. ويتكون البرنامج من عدة جوائز هي: جائزة إسماعيل شموط للفنون، ومُنحت هذه السنة للفنان راجي كوك؛ جائزة حسن الحوراني للفنان الشاب، ومُنحت للأخوين أحمد ومحمد أبو ناصر؛ جائزة الكاتب الشاب، والتي تعطى لحقلي الشعر والقصة القصيرة، وقد فازت أسماء عزابزة في حقل الشعر عن ديوانها "ليوا"، أما في حقل القصة فقد قُسمت الجائزة مناصفة بين سليم البيك عن مجموعته "كرز تشيزيك"، وإسراء كلش عن مجموعتها "خطأ مطبعي".

المشهد الغزي واقتسام الثقافة

لا تختلف الحياة السياسية والاجتماعية ذات العنوان الفاضح الدال على الفصل والانفصال في غزة، عن الحياة الثقافية التي تأخذ حصتها أيضاً من المنع والقمع لكثير من النشاطات الثقافية داخل القطاع. وربما يكون تشرين الثاني/نوفمبر هو الأكثر حسداً للفاعليات والنشاطات والمؤسسات المتنوعة، ابتداء من إغلاق "منتدى شارك" الشبابي، و"محترف شبابيك للفن المعاصر"، إلى التهديد بإغلاق المركز القومي للدراسات والتوثيق في اليوم الأول من وفاة عبد الله الحوراني "أبو منيف"، وليس انتهاءً بمنع فيلم "ماشو ماتوك" (شيء حلو) للمخرج الفلسطيني خليل المزين، والذي منعت وزارة الإعلام في الحكومة المقالة، عرضه في قاعة سينما الهلال الأحمر الفلسطيني. لكن على الرغم من هذا المنع لبعض الفاعليات الثقافية، فإن الوضع الثقافي في غزة يعكس حراكاً فاعلاً وامتيزاً. ولعل أبرز تلك الفاعليات عقد وزارة الثقافة في الحكومة المقالة، في نهاية أيلول/سبتمبر، مؤتمرها السنوي الثاني في غزة بعنوان "نحو نهضة ثقافية"، إذ أكد وزير الثقافة في الحكومة المقالة أسامة العيسوي "أن الاحتلال الإسرائيلي يهدد الثقافة الفلسطينية"، لافتاً إلى "أن وزارته ستقوم في المرحلة القادمة بمجموعة من النشاطات التي لها أثر في تفعيل المشهد الثقافي الفلسطيني لتساهم في نهضة ثقافية شاملة". وجدد وزير الثقافة، خلال المؤتمر الذي حضره عدد كبير من قادة الرأي والفكر، ولغيف من الشخصيات وممثلي المؤسسات الحكومية والمجتمع المدني، العهد بالمضي على درب الشهداء والحرية للأسرى والكرامة للأرض والإنسان. كما افتتحت وزارة الثقافة في الحكومة المقالة، في ٣٠ تشرين الأول/أكتوبر، وبالتعاون مع مجلس طلاب الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية، معرض الكتاب الأول في مقر الكلية، وسط مشاركة رسمية وطالبية واسعة. وحضر الافتتاح كل من مستشار وزير الثقافة مصطفى الصواف، ونائب عميد الشؤون الأكاديمية علاء إسماعيل، ورئيس قسم شؤون الطلاب عاهد أبو العطا، وعدد من القادة في الكتلة الإسلامية.

أمّا رابطة الكتاب الفلسطينيين، التي أسست مطلع سنة ٢٠١٠، فأصدرت عدداً من الكتب الأدبية والثقافية، كما قامت الرابطة، في الأسبوع الأول من تشرين الثاني/نوفمبر، بالاحتفاء بهذه الإصدارات من خلال حفل توقيع. وقد عكس الحفل الذي عُقد في مقر الرابطة بحضور عدد من المثقفين والكتّاب والمفكرين وممثلي بعض الفصائل الفلسطينية، توجهات الرابطة "السياسية" من خلال كلمات الحضور، إذ أشاد عضو القيادة السياسية لحركة

"حماس"، محمود الزهار، في كلمة له في أثناء الحفل بجهد رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين في النهوض بالساحة الثقافية الفلسطينية، معبراً عن تقديره كل من يساهم في تطوير هذه الساحة. كما أكد رئيس رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين عطاالله أبو السبح ضرورة الاهتمام بالقلم الإسلامي، وإفساح المجال أمامه للإبداع والبناء، فقال: "تعرض القلم الإسلامي للإهمال من قبل اتحادات الكتاب العرب بشكل عام، واتحاد الكتاب الفلسطينيين، وقد أن الأوان لكي يأخذ دوره بين الأقلام..". وكانت الرابطة أصدرت ديوان "سقف الدهول" للشاعر سهيل أبو زهير، وديوان "آتيكم بقبس" للشاعر يونس أبو جراد، وديوان "في كل سنبله" للشاعر محمد أبو نصيرة. كما أصدرت رواية "شمعة لا تنطفئ" للكاتب محمود الزهار، وكتاب "دم الزهور" لوزير الزراعة محمد الآغا، وكتاب "دراسات في الشعر الفلسطيني المقاوم" للشاعر عبد الخالق العف.

وأما اتحاد الكتاب الفلسطينيين، فلم يغفل عن المشاركة وتسجيل اسمه في كثير من الفاعليات التي تنظمها مؤسسات المجتمع المدني داخل القطاع، إذ شارك الاتحاد في فعاليات "إحياء يوم التراث الفلسطيني" من خلال أمسية شعرية شارك فيها أعضاء الاتحاد: سعيد أبو طبنجة؛ ياسر الوقاد؛ سليمان حزين؛ علاء العبسي؛ محمد ويدرار. كما ألقى الروائي محمد نصار، على هامش هذه الأمسية، محاضرة عن "مكانة التراث في الأدب الفلسطيني"، فضلاً عن مشاركة الاتحاد في عدد من النشاطات الأخرى، مثل ندوة ملتقى الصداقة عن "أدب عبد السلام العجيلي". وشارك الاتحاد أيضاً في ندوة عن "الكتابة المشتركة" التي نظمها "صالون نون النسوة".

وبعد صمت طويل، وعلى الرغم من الضائقة المالية التي يمر بها اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين، إذ لم تُدفع أجرة المقر منذ ثمانية أعوام متواصلة، فإن الاتحاد استطاع إصدار عدد من الكتب الأدبية التي ربما تكون حجراً يحرك ماء البركة الساكن. فقد صدرت مجموعة شعرية باللهجة العامية للشاعر رزق البياري بعنوان "لآفتات شعرية"، و"بين النهر وزنبقة" للشاعرة أمال العديني، و"أوقات مزدحمة" للشاعرة سميرة أحمد، و"عواية في غار الليل" للشاعر سليمان حزين. وفي السياق ذاته، منعت السلطات المصرية الشاعر "حزين"، الذي كان متوجهاً إلى أبو ظبي للمشاركة في البرنامج المتلفز "أمير الشعراء"، من السفر عبر معبر رفح البري، ومن دون أسباب منطقية. وعلى الصعيد المسرحي، عُرضت مسرحيتان مهمتان، الأولى لجمعية فكرة للفنون التربوية، وكانت بعنوان "كل شيء تمام"، وقد عُرضت على خشبة مسرح سعيد المسحال، وهي تأتي في إطار حملة "مناهضة العنف ضد المرأة"، وذلك ضمن مشروع "تمكين النساء الفلسطينيات - تنمية وتحسين المجتمعات (بناء)" الممول من الاتحاد الأوروبي، والذي تنفذه مؤسسة كير الدولية، بالشراكة مع مركز شؤون المرأة وطاقم شؤون المرأة، وإنتاج جمعية فكرة للفنون التربوية. وهذه المسرحية التي تعكس واقع النساء المعنفات من خلال قصص متعددة، عرضتها كل من الفنانات سماح الشيخ، وإيناس السقا، ونور بعلوشة، بينما جسّد الفنان نضال دامو الدور الذكوري، سارداً بكثير من التعجرف سطوته وقدرته على التحكم في كل ما حوله، ومبرزاً نفسه محور هذا الكون. ويشار إلى أن المسرحية من تأليف الدكتور عاطف أبو سيف، وإخراج الدكتور حسين الأسمر، في حين أن الإشراف العام كان لرسمي دامو. أما المسرحية الثانية فهي مسرحية "السجرة" التي قدمتها فرقة "مسرح للجميع"، والتي تحدثت بصراحة ووضوح عن سيرالية الانقسام الفلسطيني، وقد تجسد ذلك في ديكور رمزي هو عبارة عن طبقتين، وكان في الطبقة العلوية أشخاص يحاولون استثمار أهات وجروح المواطن الذي يتعرض للقصف والدمار. ويُذكر أن العمل مقتبس من مسرحية "غيرنيكا" لفرناندو أربال، وقام بإعداده خالد جمعة، ومثلها كل من سماح الشيخ، ومحمد حمدان، وإيمان الغريب، وإبراهيم سلمان، وأخرجها للمسرح جمال الرزي.

وعلى صعيد السينما، ومع قلة الإمكانيات لـ "صناعة سينما" داخل غزة، واقتصار المخرجين والإعلاميين في القطاع على القصص الإخبارية، إلا إن المخرج خليل المزين، وبالتعاون مع "اتحاد المراكز الثقافية" استطاع الحصول على تمويل بسيط لإنتاج فيلمه "ماشو ماتوك" (شيء حلوا)، وتمكن من تنفيذ القصة التي شارك في

كتابتها محمود ماضي، وأخرجها في فيلم من ٣٠ دقيقة، يحكي واقع غزة خلال السبعينيات، مع تركيز كبير على الخلافات بين الجنود الإسرائيليين في غزة.

وكان من المقرر عرض الفيلم في قاعة سينما الهلال الأحمر في ٢٠١٠/١٢/٢، إلا إن رقابة وزارة الإعلام منعت الفيلم قبل ساعة واحدة من موعد العرض. ويقول المخرج خليل المزين: "أبلغت مثل غيري بأن الفيلم مُنع من العرض داخل غزة"، كما أخبرت وزارة الإعلام رعاة الفيلم (المركز الثقافي الفرنسي، واتحاد المراكز الثقافية) أن الفيلم ممنوع بسبب أحد المشاهد التي لا تتوافق مع أخلاق "المجتمع الإسلامي". ورفض المخرج أن يقوم بقصّ المشهد، لأن المشهد لا يتنافى مع الدين، ولا الأخلاق، وأكد أن التعدد في المجتمع الفلسطيني موجود، فالمهم هو عرض الفيلم كاملاً، ثم النقاش بشأنه. وقال يسري درويش رئيس اتحاد المراكز الثقافية، إن وزارة الإعلام في الحكومة المقالة أخبرته على الهاتف أن الفيلم ممنوع من العرض من دون توجيه رسالة رسمية توضح أسباب المنع.

وفي السياق ذاته، أغلقت وزارة الداخلية في الحكومة المقالة، "محترف شبابيك للفن المعاصر" بحجة عدم امتلاكه الترخيص، وجرى إغلاق "المحترف" بقرار شفهي اتخذته عدد من موظفي تلك الوزارة، كما طرد الفنانون التشكيليون منه. ويذكر أن "المحترف" تم تأسيسه منذ ثلاثة أعوام من خلال "المنحة النرويجية"، وهو يتبع "اتحاد المراكز الثقافية" إدارياً ومالياً، وتشرف عليه فنياً "مجموعة شبابيك للفن المعاصر". وكان المحترف نفذ كثيراً من المعارض التشكيلية خلال الفترة السابقة، فقد استقبل في قاعته "معرض القطان، معرض الفنان الشاب"، وأقام ورشة "جبل وبحر" للفنانين الشبان بالشراكة مع غاليري المحطة والـ UNDP، ونفذ معرضاً تشكيمياً واسعاً بعنوان 10ART، وذلك بالتزامن مع فعاليات المنتدى التربوي العالمي في غزة. كما فاز "المحترف" بجائزة، وبتكريم خاص من "صالون الخريف الفرنسي" في دورته الثامنة بعد المئة.

حملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها

وفرض العقوبات عليها (BDS) تواصل مسيرة الإنجازات

يوماً بعد يوم، يدرك مناصرو حقوق الشعب الفلسطيني في العالم حجم القوة الكامنة لحملة المجتمع المدني الفلسطيني الرامية إلى مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS). وهم ليسوا وحدهم، فالمعادون لتلك الحقوق يعون هذه الحقيقة أيضاً، إذ وصفت الحكومة الإسرائيلية، وعلى لسان رئيسها، الحملة ذات القيادة الفلسطينية بـ "الخطر الاستراتيجي" الذي ربما يصبح "خطراً وجودياً" في حال لم يجر التصدي الصارم له. كما أن المدير التنفيذي للجنة الشؤون العامة الأميركية - الإسرائيلية (أيباك) كان حذر في أثناء عقد مؤتمر اللجنة في أيار/مايو ٢٠٠٩ من أن جهود المقاطعة آخذة في اختراق صفوف التيار العام الأميركي و"تهيبه الأرضية للتخلي [عن إسرائيل]". وأضاف أن "هذه حملة واعية" تهدف إلى عزل إسرائيل والضغط عليها لـ "تغيير طبيعتها الجهورية".

وتُمد هذه الحملة، الممتدة جذورها على مدى قرن تقريباً من المقاومة الشعبية والمدنية ضد الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، لمرحلة جديدة نوعياً في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي وسياسة إسرائيل الاقتصادية ونظام التمييز العنصري (الأبارتهايد) الذي تكرسه.

ويحدد نداء المقاطعة (BDS)، الصادر في ٩ تموز/يوليو ٢٠٠٥، الحقوق الأساسية الخاصة بالشرائح الرئيسية الثلاث المكونة للشعب الأصلي في فلسطين. وعلى أساس القانون الدولي والمبادئ العالمية لحقوق الإنسان، فإن النداء يحث على اتباع أشكال متعددة من مقاطعة إسرائيل كي تمثل امتثالاً كاملاً لالتزاماتها بموجب القانون

الدولي عن طريق: (١) إنهاء احتلالها واستعمارها الأراضي العربية كلها [المحتلة في سنة ١٩٦٧] وتفكيك الجدار؛ (٢) الاعتراف بالحق الأساسي في المساواة الكاملة لمواطنيها العرب الفلسطينيين؛ (٣) احترام وحماية ودعم حقوق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم واستعادة ممتلكاتهم، كما هو منصوص عليه في قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤.

ويُعبّر نداء المقاطعة، والذي يحمل توقيع أكثر من ١٧٠ منظمة وحزباً سياسياً واتحاداً نقابياً وحركة جماهيرية فلسطينية، عن التطلعات الجماعية للشعب الفلسطيني من خلال التشديد على أن تحقيق المطالب الأساسية الثلاثة التي يدعو إليها النداء يفي بالحد الأدنى من متطلبات الشعب الفلسطيني من أجل ممارسة حقه غير القابل للتصرف في تقرير المصير.

إن أبرز إنجاز تحقق خلال الأعوام الخمسة الماضية هو إعادة الاعتبار إلى هذه الحقوق الشاملة لمكونات الشعب الفلسطيني، بعد أن تم اختزالها منذ اتفاق "أوسلو" إلى التخلص من الاحتلال من معظم أراضي الضفة الغربية فقط، من دون حق العودة، ولا إنهاء الأبارتهويد في فلسطين المحتلة في سنة ١٩٤٨، وبلا تقرير المصير. كما أن الحملة أدت إلى بداية تحول دراماتيكي لدى قطاعات واسعة في الرأي العام الأوروبي خاصة، والأميركي بدرجة أقل لمصلحة التعامل مع إسرائيل كما جرى مع نظام التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا. فقد باتت حملات مقاطعة البضائع الإسرائيلية مشهداً مألوفاً في المحال التجارية الغربية الأضخم، الأمر الذي بدأ يؤثر في صادرات إسرائيل في بعض المجالات كالخضروات والفواكه ومستحضرات التجميل والأدوية والأطعمة الجاهزة والمياه المعدنية. وبدأت حملة مؤثرة ضد الماس الإسرائيلي الذي تشكل تجارته أحد أهم أركان الاقتصاد الإسرائيلي.

وقد انتشرت حملات المقاطعة الأكاديمية ضد إسرائيل في أوروبا وكندا وجنوب إفريقيا والهند، كما ازدادت الحركات الطلابية التي تناضل من أجل سحب الاستثمارات من الشركات الداعمة للاحتلال والأبارتهويد الإسرائيلي في جامعات أميركا الشمالية بصورة خاصة. وبعد العدوان على أسطول الحرية، أضربت نقابات عمال الموانئ، ولفترات متفاوتة، عن تحميل أو تفريغ السفن الإسرائيلية في موانئ السويد وتركيا والهند، وحتى في ميناء أوكلاند بالولايات المتحدة الأميركية.

فيما يتعلق بالمجال الثقافي، فإن إنجازات حملة المقاطعة كانت لافتة، ولا سيما بعد مذبحة "مافي مرمرة"، إذ ألغى عدد من أهم الفنانين والفرق الفنية العالمية عروضاً أو مشاركات فنية لهم "في إسرائيل" احتجاجاً على انتهاكها حقوق الإنسان الفلسطيني، ومن هؤلاء: بيكسيز؛ كلاسونز؛ فايتلس؛ كارلوس سانتانا؛ دافيد كوستيللو؛ غيل سكوت - هيرون؛ الممثلة الشهيرة ميغ رايان؛ المخرج والكاتب العالمي مايك لي. وقبلهم انضم إلى صفوف المقاطعة كتّاب ومثقفون وأكاديميون ومخرجون من وزن: جون برجر؛ ناعومي كلاين؛ جوديث بتلر؛ أليس ووكر؛ ستيفان هيسيل (وهو ممّن صاغوا البيان العالمي لحقوق الإنسان في سنة ١٩٤٨)؛ هينينغ مانكل؛ جان لوك - غودار؛ إيان بانكس.

أمّا الكنائس العالمية فبدأت بالتحرك الإيجابي تجاه المقاطعة، وخصوصاً بعد صدور وثيقة "وقفه حق - كايروس فلسطين" عن قيادات فلسطينية مسيحية مرموقة، الأمر الذي تُرجم في اتساع دائرة الحركات والمنظمات الكنسية المناهضة بسحب الاستثمارات، ولو جزئياً، من إسرائيل ومن كل من يدعم احتلالها وانتهاكها القانون الدولي. كما انضم إلى حملة مقاطعة إسرائيل عدد من المؤسسات اليهودية التقدمية، بما فيها تحالف إسرائيلي مناهض للصهيونية باسم "مقاطعة من الداخل"، فضلاً عن التحالف النسوي من أجل السلام، والذي طوّر قاعدة بيانات لجميع الشركات الإسرائيلية والدولية المتورطة في الانتفاع من الاحتلال (Who Profits from the Occupation?).

وحتى على صعيد الحكومات، فقد بدأت الحملة بتحقيق إنجازات مهمة، إذ سحب صندوق التقاعد النرويجي

الضخم استثماراته من عدة شركات إسرائيلية متورطة في جرائم ضد الشعب الفلسطيني، وفعلت الشيء ذاته صناديق التقاعد في السويد والدانمارك. كما أن الحكومة الإسبانية قامت بإقصاء فريق أكاديمي إسرائيلي عن مسابقة دولية للمعمار المستدام ("الأخضر") كون الفريق يأتي من كلية أريئيل المقامة على أرض فلسطينية محتلة. ورفضت بلديات هولندية استضافة وفد رسمي يمثل بلديات إسرائيلية في هولندا بسبب انضمام ممثلي مستعمرات إسرائيلية إلى الوفد. وللمرة الأولى، إذًا، بدأت تبرز إرهابات قوية لحركة عالمية مناهضة لإسرائيل كدولة محتلة، عنصرية، مجرمة، مارقة، وخارجة على القانون الدولي، أي كما كانت جنوب إفريقيا في زمن الأبارتهايد، الأمر الذي بات يشكل تهديدًا حقيقيًا لهيمنة إسرائيل المستمرة لعقود في ساحات الرأي العام العالمي عامة والغربي خاصة. ■

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

الرواية الفلسطينية الكاملة للمفاوضات من أوصلو إلى خريطة الطريق

٢

مفاوضات كامب ديفيد

(طابا واستوكهولم)

١٩٩٥ - ٢٠٠٠

أحمد قريع (أبو علاء)

٥٠٥ صفحات ١٥ دولاراً (تجليد عادي)

٢٠ دولاراً (تجليد فني)